٧ كتاب « اختصار علم اللاهوت تمّ تكلّمت به الملاء واللاهوتيون . وقد اجتهد بجمعه المطران اسحق (الشدراوي) على طرابلس المارونية تلميذ مدرسة رومية وقد تأسّس وضعهُ بين المعلم والتلميذ (١) » . وتدور ابحاث هذا الكتاب على خلق الله العالم والملائكة وعلى الفردوس الارضي والموت والمطهر والجحيم وعمر الانسان وقيامة الموتى وماذا يحدث بعد ملاشاة العالم الخ . . . وقد عزز جامعه الشدراوي هذه المواضيع بشروح لذيذة فائقة مستندة الى نصّ الكتاب المقدّس وتعليم آباء الكنيسة مما يدل على رسوخ قدمهِ في معرفة هذه العلوم السامية . وقد اضاف الناسخ الى هذا الكتاب مئة وخمسة عشر خبرًا روحيًا

ومن الكتب القديمة المطبوعة برومية والنادرة الوجود التي وجدناها في هذه المكتبة كتاب «الدر المختار من تواريخ الآباء الابرار» وهو مختصر تواريخ الكنيسة الرومانيّة ترجمهُ عن الايطاليّة الى العربيّة الراهب القسيس بريسيوس ده رانس الكبوشي المقيم يومئذٍ في مدينة الشام سنة ١٦٤٤ . وفي بدء هذا الكتاب رسالة بالكرشوني لبطريرك الموارنة يوحنا الصفراوي انفذها من دير قنوبين الى رئيس الرهبان الكبوشيين العام بما يرغب اليه ان يتمّ ويسعى في طبع هذا الكتاب وتاريخها في ٢٥ كانون الاول سنة ١٦٤٩ . ثمّ كتاب التعليم المسيحي الذي طبعهُ في رومية سنة ١٦٤٢ البطريرك اسطفانوس الدويهي من عيلة بيت هلال . وهو حقلان كرشوني ولاتيني ، وكتاب الشبّة المعروفة بشبّة قزحيًا وهي مطبوعة بطبعتهِ القديمة التي طُبع فيها المزامير سنة ١٦١٠ (٢ الّا انها ناقصة من اولها وآخرها ، وكتاب المزامير المطبوع بطبعة دير سيدة طاميش سنة ١٨٦٠ (لها بقية)

الدين لله والوطن للجميع

بقلم الاب لويس شيخو اليسوعي

هذا عنوان مقالة صغيرة في صفحتين نشرتها السيّدة نبيهة بابيل في عدد حزيران الاخير في مجلّة الحارس (ص ٨٢٦ــ٨٢٧) فكرّرت عن طيب قلب كلمة نسمعها من حين الى آخر من افواه بعض المتهوّسين الذين يستاءون مما يرون في

١) قد ذكر لهُ هذا الكتاب حضرة الخوري بطرس غالب في ترجمته التي نشرها في المشرق (٢٣ [١٩٢٥] : ٤٢٠ و ٥٠٦) ٢) راجع المشرق (٣ [١٩٠٠] : ٢٥٣-٢٥٥)

البلاد من اختلاف الآراء وتعدُّد الاحزاب فيلقون تبعتها على الدين ولم يجدوا الحلّ هذا المشكل سوى الفصل بين الدين والوطن وجعلوا ذلك على شبه المثل فقالوا «الدين لله والوطن للجميع». ونرى السيّدة نبيهة تنادي في مقالتها بالويل والثبور وتدّعي انّ الشرّ كلّ الشرّ في سوء احوال بلادنا اصلهُ من تعداد المذاهب ومن التعصُّب الديني. ذاك هو على قولها «الروح الشيطانيّة» التي يجب استئصالها واماتتها كي «نتصافى كباقي الشعوب يجمعنا اسمٌ واحد حتى لو سُئلنا: مَن انت؟ لأجبنا: لبناني او سوري. لا: مسيحي او درزي او مسلم».

فلنسمح لنا السيّدة نبيهة وكلّ الذين يرتأون رأيها ان ندقّق النظر في هذه الكلمة ونعرضها على محكّ الانتقاد ونسبر غورها فنقف على ما فيها من الصحّة فلعلّها احد الالفاظ السوفسطائيّة التي يموّه بها بعض الناس وجه الحقيقة فينخدع بها كثيرون وينسبون الى الدين ما هو براءٌ منهُ

١ الدين لله!

هذا القسم الاوّل من تلك الكلمة فما هو يا تُرى معناها؟ ذلك يستدعي ثلثة ابواب: الاوّل ما هو الدين؟ الثاني ما معنى كون الدين لله؟ الثالث ماذا ينتج عن ذلك؟

اوّلاً: ما هو الدين؟

الدين في اللغة اسمٌ مشتقّ من دانَ يدين اي خضعَ وذلّ واطاع. تحديدهُ في سائر كتب اللغة انهُ «اسمٌ لما يُتعبَّدُ به الله وهو الطاعة والانقياد لشريعته». وفي عُرف الفلاسفة انهُ «الوَضع الالهيّ للاحكام الرابطة الخليقة بالمخلوق». واللاهوتيّون يحدّون الدين «بالفضيلة الادبيّة التي تؤهل الانسان الى ان يقدّم لله العبادة الواجبة من حيث هو مبدأ واصل كلّ المخلوقات».

فكلّ هذه التعريفات مبنيّة على اعتبار العلاقات الواجبة بين الخالق والمخلوق

ثانياً: ما معنى الدين لله؟

تحتمل هذه الكلمة عدّة معانٍ. فيجوز ان يكون المعنى انّ الدين اصلهُ من الله

اي انهُ هو واضعهُ والآمر به كما سبق في تعريف الفلاسفة

ويجوز ان تكون اللام بمعنى الاستحقاق فقولك « الدين لله » اي انهُ تعالى عزَّ وجلَّ يستحقُّ ان يطيعهُ الانسان ويتذلل امامهُ كما تقول: العزُّ لله والحمدُ لله اي يستحقُّ العزَّ والحمد

او يراد معنى الاختصاص اي الدين يختصّ بالله دون سواه

ويصحُّ ايضاً معنى الغاية فقولنا « الدين لله » اي انهُ موجَّه الى عزَّتهِ تعالى اي اننا اليهِ نؤدي خدماتنا واكرامنا وسجودنا

ثالثاً: ماذا ينتج عن هذا التعريف

النتيجة منهُ: اوَّلاً ان الانسان عبدٌ بازاء خالقهِ وسيّدهِ

ثانياً انَّ الله هو اصل الدين وواضعهُ وهو يختصّ بشخصهِ الكريم ويوجَّهُ الى عزَّتهِ تعالى

ثالثاً ان كان اصل الدين من الله وهو واضع لأحكامهِ فما على الانسان إلَّا ان يبحث عمَّا اختارهُ هو نفسهُ لإكرامهِ وذلك بوحيهِ تعالى لانبيائهِ الصادقين ولاسيما بالسيّد المسيح كلمتهِ الالهيَّة اذ هو «النور الحقيقي الذي يُنير كلَّ انسانٍ آتٍ الى العالم» (يوحنَّا ١ : ٩)

رابعاً ان كان الدين يُعرَف خصوصاً بالوحي فالوحي هو ايضاً للجميع فالدينُ هو لله وهو ايضاً للجميع فعليهم ان يتقيَّدوا باوامرهِ ونواهيهِ. ومن ثمَّ لا يصحّ وضع هذه المقابلة بين الدين وبين الوطن كأنَّ الواحد هو للافراد والآخر للجموع

خامساً لا بل يجب القول بانَّ الدين هو اصل حبّ الوطن لانَّ الدين هو يعلّمنا واجباتنا نحو القريب ونحو المجتمع الانسانيّ عموماً وخصوصاً ولولا الله لما ثبت حبُّ الوطن في قلوب البشر كما ترى في الملحدين والاشتراكيين والفوضويين الذين يضحّون الوطن على هيكل اهوائهم الباطلة. وعلى خلاف ذلك لا تجد احداً يتشبَّث بحب الوطن كأصحاب الدين الذين يعتبرون حبّ الوطن كاحد الواجبات المحترمة من الله. على موجب المثل « حبُّ الوطن من الايمان »

٢ الوطن للجميع

فلنتخطَّ الآن الى القسم الثاني من الكلمة التي نحن بصددها « الوطن للجميع »

فهذا ايضاً يتحمّل معاني مختلفة ملتبسة. فالواجب اولاً تحديد معنى الوطن. ثم ثانياً ما معنى الوطن للجميع؟ وثالثاً هل من مناقضة بين الدين والوطن؟

اولاً: ما هو الوطن؟

يحدّد اللغويّون الوطن بوضع مولد الانسان ومنشإه. ويقول غيرهم انهُ منزل اقامة الانسان ومقرُّهُ وُلد به او لم يولد

وفي اصطلاح الشعوب يُطلق اسم الوطن على البلاد الواقعة تحت حكم واحد الخاضعة للشرائع ذاتها. فربَّما كانت واسعة الارجاء كما ترى في الدول الكبرى او تكون ضيّقة الحدود منحصرة في مسافات قليلة كبلاد لوكسمبرج ومونا كو. وربَّما تغيّرت هذه الحدود في مدى الاجيال فضاقت حيناً واتّسعت حيناً آخر لسبب التقلُّبات الدوليَّة والاحداث السياسيَّة

ويُقسَم الوطن الى مكان قرار يسكن فيهِ المرء ويجري على احكامهِ. والى مكان إقامة يحتلّهُ الانسان لزمن معلوم ولاشغال معلومة ثمّ يغادره ليلحق بموادُ. أمّا هنا فيراد الوطن بالمعنى الاوّل اي مولد الانسان ومنشأهُ ومسقط رأسهِ

ثانياً: ما معنى الوطن للجميع؟

معناهُ ان جميع ابناء الوطن متساوون بالحقوق. فلكلّ من يولد وينشأ في حدود الوطن ان يتمتّع بخيراتهِ العموميَّة من نور وهواء ومنافع تُربة وسكن ومعاش مع ملء الحريَّة في تصرُّفهِ ضمن القانون يخدم وطنهُ بشغلهِ ومالهِ ويخدمهُ الوطن بما يُنيلهُ من الامان والحماية ويذود عن حياضهِ بازاء كل من ينتهكها. فلا يحقّ لمسلم او نصراني او درزي ان يدّعي بحقوق عموميَّة لمجرَّد كونهِ مسلماً او نصرانيًّا او درزيًّا كما كان يُعتبر النصارى واليهود في الازمنة السابقة كرعايا ذمّيين لا يُسمح لهم ان ينسبوا نفوسهم الى الوطن. فهذا اليوم قد بطل حكمهُ وأصبح الجميع سواء بازاء الدستور

وهذا لا يمنع ان تكون حقوق وواجبات في الوطن الواحد على اختلاف الطبقات والمناصب والاعمال في حدود القانون. فانَّ حقوق الرئيس ليست كحقوق المرؤوس. وحقوق السيّد كحقوق المسود. وحقوق الذكور كحقوق الإناث. وحقوق ارباب الدين

كحقوق ارباب الدنيا . وحقوق الغني كحقوق الفقير . وحقوق الاجنبي كحقوق الوطني . وحقوق الجماعة كحقوق الافراد فلكلّ حقوقهُ وواجباتهُ المقرَّرة . وفي قوانين الدول فصول تختصُّ بكل هذه الطبقات فتخوّلهم حقوقاً خاصة كما تفرض عليهم واجبات ينبغي لهم القيام بها

ثالثاً : هل من مناقضة بين الدين والوطن؟

هذا ما اشعرَتْ بهِ السيدة نبيهة باسيل على مثال الذين يردّدون تلك الكلمة جزافاً دون تروٍّ كأنَّ الدين والوطن على طرفي نقيض وكأن الذي يسعى بموجب اوامر الدين يسعى في نقض اركان الوطنيّة

فذلك عينُ الضلال . فانَّ الدين والوطن شقيقان أليفان هما كفرسي رهان في حلبة واحدة . وما لا شكَّ فيهِ انَّ للدين اصولاً يستمدُّ منها الوطن كلَّ قوّتهِ

فلا يجوز اذن نسبة ما يقع من الخلاف بين اهل الوطن الى اديانهم ؟ بل الاحرى ان يقال انَّ الدين اوّل عامل على الوفاق ؟ وكفى شاهداً عليهِ انهُ هو المقرِّر لهذا المبدأ الذهبي : لا تعمل لغيرك ما لا تشاء ان يعملهُ بك غيرك ؟

ثمَّ قد سبق انَّ الدين غايتهُ خدمة الله والطاعة لاوامرهِ فمتى يا رعاك الله امر سبحانهُ وتعالى ان نسيء الى من لا يشاركنا في ديننا . بل كم أُمرنا نحن النصارى بمحبَّة الجميع حتى اعدائنا كم ردَّد السيد المسيح وصيَّتهُ بان نحسن الى مبغضينا ونصلّي لاجلهم ولا نردّ الشرَّ بالشرّ بل نقابل الشرّ بالخير . فان وُجد دين يحضُّ على التقاسم والتباغض فقل انهُ ليس بدين مستقيم صالح وانَّهُ ليس من الله وانَّ الذين يأتون اعمالاً همجيَّة بحجَّة الدين ليسوا إلَّا مرائين كذَّابين يتستَّرون بالدين وهم اوَّل اعداء الدين

ولنا على ذلك مثال قريب . فاذا اساء ارباب الانتداب وتصارى الشام وحوران وجنوبي لبنان الى دين الدروز حتى قام هؤلاء ونهبوا وسلبوا واحرقوا وقتلوا وشتَّتوا بمواطنيهم . فان حملوا ذلك على الاساءة الى دينهم فليأتوا لنا بحجَّة واحدة فيها شبه الحقّ . فهيهات ان يقنعوا احداً بها

كلَّا ليس الدين علَّةً لما في الوطن من المنازعات والمشاغبات ؟

ولدينا ادلَّة عديدة لتبرئة الدين منها . فليست دولةٌ في عهدنا إلَّا وقد تعدَّدت فيها الاديان ولسنا نرى انَّ الدين واقف في سبيل نجاحها . ألا ترى الولايات المتَّحدة

مع ما فيها من الشيع المتباينة كيف هي راقية في معارج الفلاح . وان وُجد فيها خلاف فذلك سببهُ من الاحزاب السياسيَّة

وكذا قل عن انكلترَّة والمانية . فليست اديانها المختلفة هي المقلقة راحتها . على خلاف المنازع السياسيَّة التي تقسم تلك البلاد وتثير فيها الفتن

وهذه مصر قريبة منَّا فانَّ الاديان فيها مكرَّمة معزَّزة وترى مع ذلك اهلها في قيام وقعود لا تكاد تنجو من الفتن لسبب ما يسود فيها من الاغراض السياسيَّة المختلفة

وعلى خلاف ذلك ترى دولًا ذات دين واحد ينتشر فيها غالباً روح الثورة والشغبات ليس للدين فيها نافة او جمل . وانَّما الآراء السياسيَّة بين اهلها متنافرة متناقضة . مثال ذلك في فرنسة وفي بعض جمهوريَّات اميركة الجنوبيَّة

ألا ترى في عهدنا جزيرة العرب — وكلّ اهلها على دين واحد — كم وقع فيها من المنازعات والمشاجرات والحروب تارةً من قبل الاتراك المسلمين وتارةً من قبل اشراف مكَّة وحيناً من الرسولي والامام يحيى والادريسي وحيناً من ابن رشيد والوهابيين

لا بل ربَّما وقعت المنافرات والفوضى في البلاد اقلَّة الدين بسبب تغلُّب روح الكفر والالحاد على حكَّامها كما نرى حاضرًا في دولة المكسيك وفي روسيَّة . وكما جرى في الاعصار الماضية التي حاول فيها اعداء الدين رفع اللواء لمحاربة الدين ومشايعيه

فان كان الدين هو العامل الكبير للاتفاق والسلام وانهُ بريء مما يُنسب اليه من التفرُّق والانقسام فالى من اذن يجب ان ننسب ما في بلادنا من النزاع والخلاف ؟

انَّ لذلك اسباباً لا تخفى على من يريد معرفة الحق واولها ما يغلب على بعض اهل البلاد من الانانيَّة . فان هؤلاء يطلبون قبل كلّ شيء ترويج اغراضهم الشخصيَّة وتعزيز غاياتهم سواء ينالُ منها الوطن نفعاً ام ضرراً . فانَّ حب الوطن الصادق يستدعي تضحية المنافع الشخصيَّة على هيكل الخير العام . وذلك قلَّما تجدهُ عندهم فكأن كلًّا منهم يحصر الوطن في شخصهِ وامورهِ الخاصَّة

وتكون هذه الانانيَّة اوسع نطاقاً فيظنّ البعض انَّ حب الوطن مرجعهُ الى أسرة الانسان او الى بلدتهِ او طائفتهِ فان وَجد صلاحاً خارجاً عنها ضرب عنهُ صفحاً

ومن الاسباب المثيرة للانقسام والاختلاف في هذه البلاد التهافت على طلب

الوظائف فان هذا الزحام في خدمة الحكومة والاشتغال العمومية كثيراً ما يهيج الاهواء الباطلة والمطامع الدنيّة ويسبب البغض والحقد فيزرع الشقاق والنفور

ومنها الاحزاب السياسية التي يؤلفها البعض من الانتفاعيين لغايات دنيّة لكرامة زيد او لتذليل عمرو . وربّما اشتروا لترويجها ذمّة بعض الصحافيين ورشوا ألسنة المتشدقين

فهذه وغيرها من الاسباب السخيفة هي التي تبذر في البلاد بذور الشقاق وتمنع جمع الكلمة والاتحاد في خدمة الوطن ليست الاديان التي تشمئز من مثل هذه الغايات السافلة

وان قيل ما لأرباب الدين يتداخلون بالسياسة ؟ اجبنا انهم انّما يفعلون بصفة كونهم وطنيين لهم الحقّ ان يبتدروا كسواهم بشؤون الوطن . بل لهم فضل على سواهم برجحان عقولهم ومعرفتهم الواسعة لاحوال الوطن وتمييزهم بين منافعه واضراره وان وُجد بينهم من يحيد عن هذه الخطّة استحقّ ان يوقف على حدوده

فخلاصة كلامنا اننا نصدّق على قولهم «الدين لله والوطن للجميع» اذا أُريد به انهُ يجب علينا بان نقوم بواجباتنا نحو الله ونحو الوطن ونؤدّي لكلٍّ منهما حقوقه على موجب قول الربّ : أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله . واما اذا اريد به الفصل بين الدين والوطن ونسبة التناقض بينهما فنأباهُ ونردّهُ

محرّكات الطيّارات الحديثة

بقلم حضرة الاب فردينان توتل اليسوعي

ان الله تعالى وهب البشر عقلاً لادراك الموجودات ، وارادةً لاستنباط خيرات الكون اينما وجدوها ، وسلطةً على طيور السماء ووحوش البرّ وسمك البحر ، حتى اذا اعمل الانسان رويّتهُ تمكّن من التصرف بالسلطان الذي ناله من الباري في سبيل الحصول على الغاية القصوى . وانّ ابن آدم نظر الى الطير فحدّثتهُ النفس بمباراتها في طيرانها ، فاخذ يبحث ويجدّ ، وظلّ يسعى مدة قرون عديدة من غير ما يُجديهِ كدّه نفعاً . الى ان فاز اخيراً بمطلوبه واخترع فنّ الطيران ، وصار يجتاز رحبات السماء كما